

بحوث قرآنية في التوحيد والشرك

(82) منهما ، قال سبحانه : (وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُظَلِّمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَانَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْ دَعْوَاهُمْ أَقْرَبُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَظْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَبَدَّ لَدُنَّ عَذَابُ اللَّهِ غَاصًّا) (1) قال المفسرون: إنَّ الاقتراح الأول كان لغير المسلمين ويؤيده قولهم في حق أصحاب الكهف: (رَبَّهُمْ أَظْلَمُ بِهِمْ) وهو ينمَّ عن اهتمام بالغ بحالهم ومكانتهم فحوَّلوا أمرهم إلى ربِّهم. وأمَّا الاقتراح الثاني فنفس المضمون (اتخاذ قبورهم مسجداً) شاهد على أنَّ المقترحين كانوا هم المومنين، وما اقترحوا ذلك إلاَّ للتبرُّك بالمكان الذي دفنت فيه أجساد هؤلاء الموحدين. والقرآن يذكر ذلك الاقتراح من دون أن يعقب عليه بنقد أو رد وهو يدل على كونه مقبولاً عند مُنزل الوحي. قال الطبري في تفسير الآية: إنَّ المبعوث دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع أُناساً كثيرين يحلفون باسم عيسى بن مريم، فزاده فرقاً ورأى أنَّه حيران، فقام مُسْتَعِداً ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة، ويقول في نفسه: واللَّهِ ما أدري ما هذا أمَّا عشيَّة أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلاَّ قتل، وأمَّا الغداة فأسمعهم وكلَّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثمَّ قال في نفسه: